الاهتمام بالدنيا حق على أن تكون وسيلة إلى ما وراءها ، أما الانكباب عليها والغفلة عما سواها فضلال بعيد .

وصلتنا بالله تصح وتقبل عندما تبلغ من القوة مستوى يعلو الغرائز المهتاجة ويغلب الغفلة الغامرة !

يجب إذا رأينا الكون أن نرى قبله أو معه من كوّنه ، والعالم المعاصر تضافر فيه الشرق والغرب على إظهار الأسباب ، وإسدال ستار على ربها ، كأنه لا وجود له ، أو لا عمل له ، وكأن هذه الأسباب هى الفاعل الحقيقى وما عداها وهم . . . وهذا ضلال بعيد !

إن لقانون السببية احترامه ، والناس يزرعون ليحصدوا ، ويتزوجون لينسلوا ، بيد أن هذه الوسائل مفاتيح للقدرة العليا ، أو هى أغطية تتحرك القدرة تحتها ...

قال الإمام النووى : روينا فى الصحاح عن زيد بن خالد الجهنى قال : « **صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فى أثر سماء ــ سحب وأمطار ــ كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا : الله ورسوله أعلم بما قال ! قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ! فأما من قال .. أمطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب** »[1] .

ونسارع إلى بيان المراد فى هذا الحديث ، إن الذاهلين عن الله المنكرين لسوقه الرياح وتصريفه للسحاب المسخر بين السماء والأرض يقولون : جاءتنا الأمطار من هبوب الريح الفلانية ووقوع تقلبات جوية ! وهؤلاء لا إيمان لهم !

أما من يعرفون الله ، ويرون الرياح والسحب ، علامات على قدرته ، ودلالات على إرادته ، فهم لا يكفرون إذا قالوا : أمطرت السماء الأرض ، وأنبت الربيع البقل ، وأنضجت الحرارة الفاكهة . . إلخ .

المهم أن نعرف الفاعل الحقيقى ، ونتجه إليه بالشكر حين يعطى ، ونقف بساحته ضارعين حين يرجئ ويبتلى . . .

---

(١) مسلم جـ ١ ص ٨٣ رقم ١٢٥ إيمان / بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .